المسيحي
والإضطهاد

الدَّرس الثَّاني:
تأمُّلات وأفكار لاهوتيَّة في موضوع الاضطهاد

MODULE 2

MIDDLE EAST CONCERN
MEC

الدَّرس الثَّاني:
تأمُّلات وأفكار لاهوتيَّة في موضوع الاضطهاد

الأهداف:
في نهاية هذا الدَّرس، سيتمكَّن الطَّلبة مِن التفكير لاهوتيًّا في المعاناة، ومِن اكتساب نظرة شموليَّة للإنجيل، ومِن رؤية كيف أنَّ المؤمنين المسيحيِّين والكنيسة مدعوُّون للاشتراك في آلام الآخرين.

قراءة تمهيديَّة مِن الكتاب المقدَّس:
2 كورنثوس 4: 7-18.

مُخَطَّط الدَّرس:

المُقدِّمة

أوَّلًا: هل يَعمل الله ''لخير'' الذين يُحِبُّونه؟
أ) ما ''خَيْرُنا الأسمى''؟
ب) التشبُّه بالمسيح في عالمٍ مُظلم.
ج) مضامين الروحانيَّة الشخصيَّة.
د) مضامين فَهْم ماهيَّة الكنيسة.

ثانيًا: الاضطهاد وصوت الله.
أ) الفَهْم المُتكامل للإنجيل.
ب) التجسُّد كوسيلة لإعلان الإنجيل.
ج) ثَمَن أن نَكون صوت الله.

ثالثًا: الرَّجاء في الربِّ يسوع المُقام مِن الأموات.
أ) الوعد بالقبول، والردّ، والتَّمجيد.
ب) رَدُّ كرامتنا.

رابعًا: الاضطهاد وجسد المسيح.
أ) الاشتراك في آلام الآخرين كالاشتراك في آلام المسيح.
ب) المحبَّة، والرَّحمة، والاتِّكال على الربِّ.

الخُلاصة

قراءات ومُطالعات إضافيَّة:

Sauer, Christof & Howell, Richard (Eds) (2010) *Suffering, Persecution and Martyrdom; Theological Reflections*, Johannesburg: AcadSa; available online at; http://www.iirf.eu/fileadmin/user_upload/PDFs/Sauer-Howell-Suffering__persecution_and_martyrdom.pdf
[see especially pp.199-214: Ton, Josef *Suffering and martyrdom: A defining and essential Christian characteristic*]

Cavanaugh, William T. (1998), *Torture and Eucharist: Theology, Politics and the Body of Christ* (*Challenges in Contemporary Theology*), Oxford: Wiley-Blackwell

Moltmann, Jurgen (2002), *A Theology of Hope*, London: SCM Press

Penner, Glenn (2004), *In the Shadow of the Cross; A Biblical Theology of Persecution and Discipleship,* Bartlesville, OK: Living Sacrifice Books

نشاط تعليمي/دراسة حالة: تأمُّل في عشاء الربِّ (أو) شهادة سامية مِن الجزائر.

الدَّرس الثَّاني:
تأمُّلات وأفكار لاهوتيَّة في موضوع الاضطهاد

إنَّ واقع الاضطهاد يَطرح أسئلة تتطلَّب تأمُّلًا لاهوتيًّا عميقًا في المكانة التي يتبوَّأها الاضطهاد في مقاصد الله.

المُقدِّمة

إنْ كان هناك شيء جَلِيٌّ في ما يَخُصُّ الكنيسة في الشَّرق الأوسط وشمال إفريقيا، فهو الحقيقة التي لا مَفَرَّ مِن الاعتراف بها، وهي أنَّه لا يوجد ما يَدُلُّ على أنَّ المتاعب والمصاعب في هذه المنطقة ستنتهي قريبًا.

ففي الوقت الذي تَمُرُّ فيه بلادُنا بتغييرات سياسيَّة تاريخيَّة، يَجِدُ المسيحيُّون أنفسهم –في أحيان كثيرة- عُرْضَةً للوقوع ضحيَّة المجموعات المُتناحِرَة على السُّلطة. ومِن دواعي الأسف أنَّ هذا أدَّى إلى تعَرُّض المسيحيِّين في أماكن كثيرة إلى ضغوطٍ اجتماعيَّة هائلة للانحياز إلى مجموعة دون الأخرى، أو الانفصال عن الجميع، أو الأسوأ مِن ذلك هو أن يواجهوا مواقف تُهَدِّد حياتهم.

أمَّا خارج نِطاق التَّغييرات السياسيَّة الإقليميَّة، غالبًا ما يَجِدُ المسيحيِّون أنفسهم في مواجهة حكومات بلادهم والقوى الأمنيَّة فيها. وفي ما يَخُصُّ الأشخاص الذين يَعتنقون الإيمان المسيحيَّ مِن خلفيَّات دينيَّة أخرى، فإنَّهم يواجهون ضغوطًا هائلةً واضطهادًا حتَّى مِن أفراد عائلاتهم.

وفي هذا الوقت الذي أُدَوِّن فيه هذه الكلمات، هناك عشرات القادة المسيحيِّين المسجونين في إيران. وبعضهم يواجه حُكْمًا بالإعدام. وهناك آلاف المسيحيِّين السوريِّين الذين فَرُّوا مِن بلادهم ولجأوا إلى البلدان المجاورة بحثًا عن الأمان. وهناك مسيحيُّون عراقيُّون فَرُّوا في السَّنوات الماضية إلى سوريَّا بسبب الأوضاع التي لا تُطاق في العراق. لكنَّهم يواجهون خِيارًا صعبًا الآن يُحَتِّم عليهم إمَّا العودة إلى العراق أو الفَرار إلى بلد آخر مِن جديد. وهناك آلاف اللاجئين وطالِبي اللُّجوء المسيحيِّين الذين يعيشون فقرًا مُدقعًا في مُخيَّمات اللاجئين والمدن الأجنبية بانتظار إيجاد حَلٍّ لأوضاعهم. وفي غضون ذلك، فإنَّ أعداد المسيحيِّين تتضاءل أكثر فأكثر في المنطقة بأسرها. والمسيحيُّون في مصر يواجهون المزيد مِن الهجمات وانعدام الفرص الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة.

وفي خِضَمِّ هذا الواقع، فإنَّ بعض المسيحيِّين يتخلُّون عن إيمانهم. والبعض يُغادرون بلادهم رغمًا عنهم بسبب صعوبة العيش فيها. وهناك مؤمنون مسيحيُّون يتعرَّضون للتَّعذيب والقتل. وهناك مؤمنون يُرغَمون على القيام بأمورٍ تَتنافى مع ضمائرهم ومعتقداتهم.

وهذا الواقع يَتعارض بشدَّة مع الفهم المعاصر السَّائد لما قاله الرَّسول بولُس في رسالته إلى أهل رومية 8: 28 عن ''خَيْرِنا''. فإن كان ''خَيْرُنا'' يعني أن نَحيا حياةً مُستقرَّةً، وآمنةً، وسعيدةً لا تقلُّ في مُستواها عن مستوى الطَّبقة المتوسِّطة في المجتمع، فقد يَستنتج المرء منطقيًّا أنَّ الله لا يَعمل لِخَيْر الغالبيَّة العُظمى مِن المؤمنين حول العالم في الوقت الحاضر. وهذا يعني –بالمُقابل- أنَّ الكنيسة المضطهَدة قد أخفقت في إظهار ''محبَّتها'' لله.

مِن جهة أخرى، إذا كانت تضحيات الكنيسة المضطهَدة تُقدِّم بُرهانًا ملموسًا على محبَّتها وتكريسها لله، فهذا يعني أنَّ المشكلة لا تَكْمُن في الكنيسة المضطهَدة، بل في الله نفسه. وإن كان الله يُفَضِّل الكنيسة الغربيَّة ويُعطي ''الخير'' للمسيحيِّين الأوروبيِّين والأمريكيِّين فقط، فهذا يعني أنَّه ليس إلهًا عادلًا ومُنصِفًا. وإن كان الله لا يَحفظ وعوده ولا يُعامِل الجميع بمساواة، فهذا يعني أنَّنا لا نستطيع أن نثق به ولا أن نَتَّكل عليه.

وإن كانت الفَرَضيَّة الأخيرة صحيحة (أي أنَّ المشكلة لا تَكْمُن في إخفاق الكنيسة المُضطهدة، بل في الله نفسه)، فهذا يُفَسِّر سبب ارتداد غالبيَّة المؤمنين المسيحيِّين مِن خلفيَّات دينيَّة أخرى عن إيمانهم المسيحيِّ في غُضون سنتين مِن إيمانهم بالمسيح. فما الذي يَدعو الإنسان إلى الاتِّكال على إلهٍ ظالمٍ ولا يُمكن الوثوق به – لا سِيَّما وأنَّهُ يَسمح لِمَن يؤمنون به بمواجهة الاضطهاد تلو الاضطهاد؟

أوَّلًا: هل يَعمل الله ''لِخَيْر'' الذين يُحِبُّونه؟

إنَّ الله يَعمل بالفعل ''لِخَيْر'' الذين يُحِبُّونه (رومية 8: 28)، لكنَّ هذا ''الخَيْر'' يُساء فَهْمُه في أغلب الأحيان. فدعوتُنا الأساسيَّة هي أن نَتَشَبَّه بابنه، العبد المُتألِّم.

في الحقيقة، لا يُفْتَرَض بنا أن نكون الأشخاص الوحيدين الذين يَطرحون هذه الأسئلة الصَّعبة. فيبدو جَلِيًّا أنَّ الرَّسول الذي أُوْحِيَ إليه بكتابة رومية 8: 28 كان يعيش حياةً تبدو -في الظَّاهر- أبعد ما يكون عن الحياة ''الخَيِّرَة'' (أو الجَيِّدة). فالرَّسول بولس يقول في 2كورنثوس 1: 8 إنَّه ''يَئِسَ مِنَ الحياة''. وهو يَرسم (في الأصحاح الحادي عشر مِن الرِّسالة ذاتها) صورة واضحة عن المشقَّات التي واجهها فيقول:

> مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ، مَرَّةً رُجِمْتُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِيَ السَّفِينَةُ، لَيْلاً وَنَهَارًا قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ. بِأَسْفَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، بِأَخْطَارِ سُيُولٍ، بِأَخْطَارِ لُصُوصٍ، بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي، بِأَخْطَارٍ مِنَ الأُمَمِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ، بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ، فِي أَسْهَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ، فِي أَصْوَامٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ. (11: 24-27).

يُحكى أنَّ ''تريزا الأفيليَّة'' سَقَطَتْ ذات يومٍ مِن عربةٍ يَجُرُّها حصان، فغضبت بسبب اتِّساخ ملابسها والموقف المُحرج الذي وَجدت نفسها فيه، وسألت الله عن قَصْدِهِ مِن السَّماح لها بالتلوُّث بالطِّين. فأجابها الله قائلًا: ''هذه هي الطريقة التي أُعامل بها أصدقائي!'' وعندما يتأمَّل المرء في حياة بولس الرَّسول الذي استُشهد في نهاية المطاف، لا يَسَعُهُ إلَّا أن يُرَدِّد ما قالتهُ ''تريزا الأفيليَّة'' رَدًّا على الله: ''لا عَجَبَ إذًا أنَّ أصدقاءك قليلون!'' لكنْ ما الذي دَفَع بولس إلى الثَّبات في إيمانه بهذا الإله الذي يُعامل أصدقاءه على هذا النَّحو؟ ففي المُحَصِّلة النِّهائيَّة، كان الرَّسول بولُس شخصًا مِن جماعة الفَرِّيسيِّين. لكنَّه اهتدى إلى المسيح في وقتٍ ما مِن حياته ودفع ثمنًا باهظًا بسبب ذلك. وهذا يعني أنَّه كان بمقدورة أن يَعكس الموقف بسهولة في أيِّ وقتٍ مِن خلال عودته إلى مُعَسْكَرِ الفَرِّيسيِّين الذي كان يَنتمي إليه سابقًا.

قد يُجيب النَّاس عن هذا السُّؤال بطرائق كثيرة. فقد يقول أحدهم إنَّ بولُس تأثَّر بالأفكار الرُّواقيَّة التي تُشَجِّع الإنسان على احتمال الألم كوسيلة لتعزيز القوَّة واكتساب الفضيلة. وقد يُفَسِّر آخر ذلك في ضَوْء الأفكار الأفلاطونيَّة المُحْدَثَة التي تَرى الجسد عائقًا ينبغي التغلُّب عليه مِن أجل تحرير النَّفس. وبالتَّالي، قد يكون ذلك هو ما شَجَّع بولُس على السَّعي وراء تلك الحياة المُفعمة بالآلام والتَّضحيات. وقد يَعْمَدُ أحدهم إلى توظيف أدوات علم النَّفس التَّحليليِّ المعاصر لكي يُرينا أنَّ بولُس كان شخصًا ''ماسوشيًّا''؛ أي أنَّه كان شخصًا يَبحث بشغفٍ عن الألم ويتلذَّذ بالظُّروف القاسية. لكِنَّ هذه الإجابات المُحتملة جميعها تُشيرُ إلى أنَّ الهَدَف الأسمى لهذه الحياة هو إرْضاء الذَّات. وهذا يَتَّفق تمامًا مع مفاهيمنا المعاصرة عن الحياة ''السَّعيدة'' القائمة على إرضاء الذَّات وتمجيدها؛ مَع أنَّنا تخَلَّينا مُنذ زمنٍ بعيدٍ عن الفكرة القائلة بأنَّهُ ينبغي لنا أن نُمارس الانضباط الذاتيَّ مِن أجل تحقيق الفضائل الأسمى في الحياة. وهذه هي النُّقطة التي تُخفق فيها الكنيسة المعاصرة في التَّوفيق بين مُعاناة الكنيسة مِن جهة، والله المُحِبِّ مِن جهة أخرى.

ما ''خيرُنا الأسمى''؟

عندما نَتفحَّص تَعريفات المصطلح "summum bonum" (أي: ''الخير الأسمى'')، سنبدأ في إدراك سبب سوء فهمنا للمعنى الذي قَصَدَهُ كُتَّاب الأسفار المُقدَّسة عندما تَحَدَّثوا عن الحياة ''الخَيِّرة'' أو للمعنى الذي قَصَدَهُ السيِّد المسيح عندما تَحَدَّث عن الحياة ''الفُضلى'' (أو الفيَّاضة). ففي نَظَر أرسطو، فإنَّ الخير الأسمى للبشر يَتمثَّل في ''السَّعادة''. لكِنْ يجب عدم الخلط بين هذا المفهوم ومفهومنا الحاليِّ عن السَّعادة (أي: الشُّعور الذَّاتيُّ بالرِّضا). فوفقًا لأرسطو، فإنَّ السَّعادة تَعني أن تعيش حياةً جَيِّدة في بحثٍ دؤوبٍ عن أسمى القِيَم والفضائل. لذلك، فهو لم يكن واثقًا من ضرورة الانتظار أو عدم الانتظار إلى أن يَصِل المرء إلى نهاية حياته للحُكم على ''سعادته'' لأنه لا يمكننا الحُكْم على نوعيَّة حياته إلَّا مِن خلال الخبرات المتراكمة طَوال حياته (أي مِن خلال مُحَصِّلتها النهائيَّة). لكنَّ الحياة الجيِّدة لا تخلو مِن الألم والتَّضحية والانضباط الذاتيّ. فلا مَناص مِن مواجهة هذه الأشياء أثناء السَّعي إلى الحياة الفاضلة.

وفي الحقيقة أنَّ الرَّسول بولس يَتحدَّث عن الهدف الأسمى الذي لا يمكننا أن نَفهم خيرنا الأسمى إلَّا مِن خلاله. وفي الحقيقة أنَّ الاقتباس المشهور مِن رومية 8: 28 يتوقَّف غالبًا عند العبارة الأولى: ''وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ''. فنحن لا نَقتبس الصِّفة المُمَيِّزة للأشخاص الذين يُحِبُّونه: ''الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ''. لكنَّ هذا الجزء المُهْمَل هو الذي يُقَدِّم الإجابة. فالذين يُحِبُّون الله هُم أولئك الذين دعاهُم الله لا لإرضاء ذواتهم، بل لتحقيق قَصْدِه. لكِنْ ما قصد الله؟ يُتابع بولُس الرَّسول حديثه في العدد 8: 29 فيقول شيئًا يُناقض توقُّعاتنا المعاصرة. فقصد الله هو أن يَجعل الذين يُحِبُّونه ''مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ''. وهذا القصد يَنطبق لا على الرُّسُل فحسب، بل على جميع أولاد الله أيضًا. لذلك، فإنَّ ''خيرنا الأسمى'' لا يعني أن نعيش حياةً خاليةً مِن المتاعب والمشقَّات، ومليئةً بالمُتع والملذَّات؛ بل أن نَكون ''مُشابهين صورة ابنه''.

التشبُّه بالمسيح في عالمٍ مُظلم.

لقد استمرَّ الرسول بولس في مواجهة الصعوبات والمشقَّات في حياته – لا لأنَّ الألم في حَدِّ ذاته هو الغاية الأسمى باعتباره فضيلة أو ميزة، بل على العكس تمامًا. فالألم لم يكن يتعلَّق البَتَّة به أو بخلاصه. فهو لم يكن يعاني ويتألَّم لأنَّ الله قاسٍ ولا يُحسن مُعاملة أحبَّائه، بل هو يتألَّم ويحيا تلك الحياة لقصدٍ أسمى:

> حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا. لأَنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ نُسَلَّمُ دَائِمًا لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ، لِكَيْ تَظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ. إِذًا الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا، وَلكِنِ الْحَيَاةُ فِيكُمْ (2كورنثوس 4: 10-12).

إنَّ هذا القصد الأسمى يَتَّفق مع قصد ابن الله: أن يَجلب حياة الله إلينا مِن خلال ذبيحة جسده؛ وهو أمرٌ يُفضي –في نهاية المطاف- إلى تمجيد الله الآب. ويَتردَّد صَدى هذا القصد المزدوج (الحياة والمجد) في حياة الرَّسول بولُس وتضحياته. فمِن خلال اتِّحاده بابن الله في آلامه، فإنَّ ما يَنشأ عن ذلك هو استمرار لعمل ابن الله. ويأتي استخدام بولُس غير العاديّ للكلمة اليونانيَّة "thanatos" (''إمَاتَة'') في العدد 4: 10 للتَّركيز لا على حَدَثٍ جَرى مَرَّةً فقط (كما حدث على الصَّليب)، بل للتَّركيز على الاشتراك الدائم في ''شَرِكَة آلامه''. وهذا يعني حَتميَّة اختبار الرَّفض والألم الجسديّ الذي اختبره ابن الله. فكل تابع للسيِّد المسيح مدعوٌّ إلى هذه الشَّركة، وهو مُقَدَّرٌ له ''لأجل المسيح لا أن يؤمن به فقط، بل أيضًا أن يتألَّم لأجلِه'' (فيلبِّي 1: 29). لكِنَّ هذه الشَّركة تَرمي إلى شيءٍ آخر غير الألم، والموت، وتطهير الذَّات، والحصول على الخلاص. فهذه الشَّركة تَرمي إلى جَلْب الحياة إلى العالم، وتمجيد الله.

إنَّ عمل المسيح لم يَنْتَهِ بولادة يسوع بن يوسف، وحياته، وموته، وقيامته، بل ابتدأ مُنذ تلك اللَّحظة. والعصر الذي نعيش فيه يَشْهَد على أبعاد ملكوت الله ''التي تَحَقَّقت'' و ''التي لم تتحقَّق بعد'' في آنٍ واحد.

فالملكوت موجودٌ في وسطنا في واقع الأمر. فخُطَّة الله لخلاص البشريَّة قد أُعْلِنَتْ، لكنَّها ستبقى غير مُكتملة إلى أن يأتي المسيح ثانيةً ويُجَدِّد خليقته. وعندما نَضَع أنفسنا في صميم تاريخ الخلاص هذا، فسنجد أنفسنا مُضطرِّين إلى إعادة النَّظر في مفاهيمنا المعاصرة عن الرُّوحانيَّة المسيحيَّة والكنيسة.

مَضامين فَهْم الرُّوحانيَّة الشخصيَّة

بِفَضْل النَّزعة الذاتيَّة التي فَرَضَتها الحداثة على المسيحيَّة، صار هناك تَوَجُّه -في كثيرٍ مِن الأحيان- إلى فهم الرُّوحانيَّة المسيحيَّة كخبرة فرديَّة هدفها الأسمى هو تحقيق الاكتفاء العاطفيِّ والماديِّ والاجتماعيِّ للمؤمنين في أثناء نُمُوِّهم في القداسة، ومعرفة الله، واختبار حضوره. وباختصار، فإنَّ الرُّوحانيَّة المسيحيَّة التي نراها اليوم هي رحلة تَتَرَكَّز حول الذَّات وتسعى إلى تحقيق أهدافٍ ذاتيَّة. وهذا يجعلها شبيهةً جدًّا بالرُّوحانيَّات التي تُنادي بها حركة العصر الجديد المعاصرة.

لكِنْ بالنِّسبة إلينا كمؤمنين مسيحيِّين، هناك نموذج واحد فقط يُبَيِّن لنا المعنى الحقيقيَّ لعيش حياةٍ ''رُوحيَّةً''. وهذا النموذج هو حياة يسوع. فهو لم يُرِنا فحسب مَن هو الله، بل أرانا أيضًا معنى أن نكون بشرًا كاملين. فنحن نَرى فيه النموذج الكامل الذي دعانا الله إلى ''التشبُّه'' به. وهذا هو المعنى الحقيقيّ للقداسة، وهذه هي الغاية مِن تغييرنا. لذلك، إذا أردنا أن نَفهم معنى الإيمان بالله، وأن نعيش حياتنا بقوَّة الرُّوح القُدُس في كل موقفٍ نَمُرُّ فيه أثناء حياتنا على الأرض، يجب علينا أن ننظر إلى رُوحانيَّة يسوع.

فبدءًا مِن اتِّضاعه، وتَجَسُّده، وَتَخَلِّيه عن مشيئته بقصد تتميم مشيئة الله الآب، وانتهاءً بخضوعه لقصد الله الآب المُتمثِّل في تخليص البشريَّة، ورفضه اجتماعيًّا، وقتله، وقيامته، فإنَّ ما نَراه هو النموذجُ الأصليُّ الذي ينبغي لنا تقليده ومُحاكاته. وهذه دعوة إلى حياةٍ أبعد ما تكون عن الأنانيَّة وتمجيد الذَّات لأنَّها حياة قائمة على الخضوع الطوعيِّ لدعوة الله.

مَضامين فَهْم ماهيَّة الكنيسة

إنَّ تأثير فهمنا للروحانيَّة المُشابهة لروحانيَّة يسوع على مفاهيمنا عن الكنيسة هو تأثير هائل ومُغاير للمفاهيم السَّائدة. ففي عصرنا المُنغمس في الروحانيَّات التي تُرَكِّز على الذَّات، يجب على الكنيسة أن تَسُدَّ احتياجات أعضائها. فالمسيحيَّة –كمؤسَّسة- موجودة لسَدِّ الاحتياجات الفرديَّة للمؤمنين. لكِنْ عندما نُدرك أنَّ الكنيسة هي جسد المسيح (بالمعنى الكتابيِّ السَّليم)، فسيطفو تناقُضٌ على السَّطح. فإن كانت الكنيسة هي جسد ذاك الذي يقول الكتاب المقدَّس إنَّ دعوته تتمحور حول إعطاء الحياة (للناس) والمجد (لله)، فإنَّ الكنيسة هي مُمَثِّلة له ويجب أن تستمرَّ في تتميم الدَّعوة ذاتها. فالكنيسة مَدعوَّة لأن تكون حضوره المنظور في أثناء غيابه – لا كرعيَّة تخدم نفسها بنفسها، بل ككِيانٍ يَسعى إلى إتمام العمل الذي بدأه السيِّد المسيح.

وما نراه في فريضة المعموديَّة هو انصهار هاتين الفكرتين معًا. ففي المعموديَّة، يَتَّحد الفرد بموت المسيح وقيامته، وهذا –بدوره- يَجعله يَتَّحِد بجسد المسيح. ومع أنَّ البعض مِنَّا لديهم دعوة فرديَّة مُختلفة تمامًا، فإنَّ الدَّعوة موجَّهة إلينا ككنيسة –لا كمُؤسَّسة- لأن نكون جسد المسيح الحيِّ. أمَّا دعواتنا الفرديَّة فتُشَكِّل جزءًا مِن هذه الدَّعوة الشَّاملة. فالكنيسة موجودة لتجسيد رسالة الإنجيل. والرُّوح القُدُس يعمل فيها ومِن خلالها لا للتَّرفيه عن أعضائها وإرضائهم، بل لتأهيلهم لإكمال العمل الذي ابتدأه المسيح؛ ألا وهو جَلْب الحياة (للناس) وتمجيد (الله) في هذا العالم الذي تَكتنفه الظُّلمة ويَمتلئ بالألم.

وهذه الدَّعوة هي جوهر الحياة المسيحيَّة والكنيسة – أيًّا كان موقعنا والظُّروف التي نواجهها. فسواء كُنَّا نعيش في بلدٍ يقوم باضطهاد المؤمنين المسيحيِّين جسديًّا لأنَّهم أقليَّة، أو في بلدٍ يواجه فيه المؤمنون المسيحيُّون بعض السُّخرية بالرَّغم من حضورهم القويِّ في المجتمع، فإنَّنا جميعنا مَدعوُّون إلى أن نكون أُمناء لدعوتنا. فالذي يجعلنا ''أبطال إيمان'' هو ليس النَّتيجة التي تَمَخَّضَتْ عن أمانتنا لدعوتنا كمؤمنين مسيحيِّين. فمع أنَّ

بعض المؤمنين المسيحيِّين لن يواجهوا يومًا تهديدًا أو اضطهادًا بسبب إيمانهم المسيحيِّ، فإنَّنا جميعًا مدعوُّون إلى أن نكون أُمناء. فالله لا يَحْكُم علينا مِن وُجهة نظر هوليووديَّة. بعبارة أخرى، فهو لن يَحْكُم علينا في ضَوْء ضخامة شهاداتنا والظروف القاسية التي تعرَّضنا إليها. بل هو يَحْكُم علينا في ضَوْء أمانتنا الدَّاخلية مِن نَحْوِه. وهذا أمر يتساوى فيه جميع المؤمنين المسيحيِّين بِغَضِّ النَّظر عن الظُّروف التي يعيشونها. فجميع المؤمنين المسيحيِّين –مضطهَدين كانوا أم غير مضطهَدين- مدعوُّون إلى جَلْب الحياة للنَّاس وإلى تمجيد الله. لذلك، فقد جَعَلَنا الله مُتساوين في جسد المسيح، وأعطانا المسؤوليَّات نفسها، وهو يتوقَّع مِنَّا الشَّيء نفسه.

أسئلة للنِّقاش

أ) يقول الكاتب إنَّ الألم، والتَّضحية، والانضباط الذاتيَّ هي عناصر ضروريَّة لحياة الفضيلة. فهل هي ضروريَّة حقًّا؟ وكمؤمنٍ مسيحيٍّ غير مُضطهَد (أو رُبَّما مُضطهَد)، هل تعتقد أنَّ هذه العناصر هي مطالب أساسيَّة لنموِّك الرُّوحيِّ، وللنموِّ الروحيِّ للكنيسة كَكُل؟

ب) يقول الكاتب: ''لذلك، فإنَّ "خَيرنا الأسمى" لا يعني أن نعيش حياةً خاليةً مِن المتاعب والمشقَّات، ومليئةً بالمُتع والملذَّات''. ما الذي يعنيه بـ ''الخير الأسمى''. ناقش هذه الفكرة في ضَوْء مفهومك الشخصيِّ.

ج) كيف تنظر إلى الاضطهاد وتفهمه في ضَوْء أَبْعاد ملكوت الله ''التي تَحَقَّقت'' و ''التي لم تتحقَّق بعد''؟ اشرح ذلك.

ثانيًا: الاضطهاد وصوت الله

مِن خلال اتِّحاد الكنيسة بابن الله في آلامه، فإنَّها تَشترك معه في عمله؛
أيْ في جَلْب الحياة للنَّاس، وفي تمجيد الله.

إذًا، إذا كُنَّا نَفهم الحياة المسيحيَّة على أنها استمرار لدعوة المسيح، فإنَّ الاضطهاد الذي نراه في حياة المسيح، ووعوده لنا بأننا سنواجه نفس الرَّفض بسبب إيماننا به، هي جزء لا يتجزَّأ مِن حياتنا بغضِّ النظر عن المكان الذي نعيش فيه. فلن يكون هناك وقتٌ أو مكانٌ على الأرض لن يواجه فيه المؤمنون ردود فعلٍ بسبب معتقداتهم. ولكنَّ هذا لا يعني الاستسلام وعدم القدرة على تغيير الوضع كما يقول ''نيتشه''. بل هو قَبولٌ فَعَّالٌ وقدرة على اختيار الوداعة، واحتمال الصعوبات، والخضوع مِن أجل تحقيق هدفٍ أسمى. لذلك، فإنَّ ما نَراه في يسوع هو ليس عدم قُدرة على الردِّ أو الغضب أو الانتقام – كما يقول نيتشه، بل على العكس تمامًا. فهو القدرة النَّابعة مِن الخضوع لدعوةٍ أسمى.

إنَّ تَجَسُّد ابن الله يَنبُع مِن قلب الآب الذي لا يَقدر أن يَنأى بنفسه عن آلام أولاده، ولا أن يُظهر عدم مُبالاة بما يَمُرُّون به. فقد اختار أن يأتي إلى حياةٍ محدودةٍ في الزَّمان والمكان. وقد اختار خالق الكون أن ينام على التِّلال وأن يَسكُن بين الناس الذين اضطهدوه. والحكمة التي خَلقت الكون قوبِلَت بالسُّخرية مِن المخلوقات التي قالت إنَّ هذه الحكمة مجنونة وخاطئة. والله الذي يجلس على العرش الأزليِّ يقف في قفص الاتِّهام أمام جماعةٍ مِن القادة الدِّينيِّين الواثقين مِن قوَّتهم ونفوذهم. وبدلًا مِن أن يَهرب أو أن يَستخدم قُوَّته، فقد ارتضى أن يُقدِّم جسده للضَّرب والهوان لكي يُعطي الحياة لِمُضْطَهِديه.

الفهم المُتكامل للإنجيل

قد نتمكَّن مِن وَصْف رسالة الإنجيل باستخدام الكلمات، وحروف الجر، وبعض المصطلحات العقائديَّة لكي نَجعل توصيل الرِّسالة أمرًا ممكنًا. ولكن في نهاية المطاف فإنَّ الإنجيل هو الشيء الذي نَراه مُتجسِّدًا في حياة ابن الله. فذاك الذي اختار تَجَنُّب عَدَم المُبالاة قد اتَّضَع وحَلَّ بيننا لكي يُرينا حَقَّه في إطار البُعد البشريِّ الذي

يمكننا أن نستوعبه، وفي إطار الحقِّ القائل بأنه إنسان كامل؛ وهما حَقَّان تجاهلناهما منذ زمن طويل. فالخبر السَّار قد أُعلِن لنا مِن خلال كل حياته التي عاشها، ومِن خلال موته الذي كابَدَهُ وانتصر عليه.

إنَّ التَّفاصيل الدَّقيقة للأفكار اللاهوتيَّة المعاصرة تَفصل بين شخص المسيح، وعمله، وتعاليمه بسبب الحاجة المعاصرة للتفكير المُجَزَّأ. وفي إطارِ عَمَلٍ كهذا، فإنَّنا مُعرَّضون لخطر اختزال رسالة الإنجيل لتصير مُجرَّد جُملٍ إنشائيَّةٍ عن عمل المسيح، واقتصار مشاركة الإنجيل على توصيلِ تلك الرسالة الموجزة بصيغة مكتوبة أو شفهيَّة. وبذلك، عندما نقول مجازيًّا إننا نريد ''توصيل الإنجيل'' إلى أُمَّةٍ ما، فإنَّ تطبيقنا لهذه المقولة سيَقتصر على كتابة وتوزيع النُّبُذ، أو الكُتب، أو الكتاب المُقدَّس.

وهذا الفهم الصحيح جُزئيًّا للإنجيل يؤدِّي إلى فهمٍ جُزئيٍّ فقط لمعنى القيام بالمأموريَّة العُظمى. فجَلْب حياة المسيح إلى مجتمعاتنا لا يعني مُجرَّد التأكُّد مِن فهم الناس المحيطين بنا للجوانب العقائديَّة للإيمان المسيحي. فرسالة الإنجيل موجودة في الحياة التي نعيشها والتي تُظْهِر نفسها في تصرُّفاتنا الفرديَّة، والتزامنا، وديناميكيَّات الكنيسة بصفتها مجتمعًا بديلًا يضمُّ مجموعة مِن القِيَم التي تُعنى بالضعفاء والمرضى والمحتاجين، وتَصِل إلى العالم كشكلٍ مِن أشكال المُعانقة والاحتضان التي يُقدِّمها الله لعالمٍ مُتألِّم. لهذا، فإنَّ الكاتب الروسي ''دوستويفسكي'' مُحِقٌّ في ما قاله في روايته ''الإخوة كارامازوف'' بأنَّ الجواب عن السؤال المُتعلِّق بالعدالة الإلهيَّة يَكْمُن في شركة المؤمنين والمحبَّة العاملة بين أولاد الله.

وما يَجعل إنجيل يسوع النَّاصريّ مؤثِّرًا بالفعل هو ليس اللُّغة البلاغيَّة البديعة، بل هذه الصِّفة المُتجسِّدة أمامنا بالحجم الطبيعي. فحياة المسيح، وتضحيته، وحضوره المتواضع، وضعفه كإنسان بين النَّاس هي الحق الذي تُعلنه هذه الجُمَل اللُّغويَّة. فهو الطَّريق والحق والحياة.

التجسُّد كوسيلة لإعلان الإنجيل

إنْ فَهِمنا الأمر بهذه الطريقة، فسنؤدِّي المأموريَّة العُظمى (أنْ نَذهب إلى الأُمم الأخرى أو أنْ نكون مِلحًا ونورًا في بيئاتنا المحليَّة) مِن خلال تَبَنِّي حياة يسوع المسيح وحَقِّه بصفتهما ''ذبائح حيَّة''. لذلك، لا عَجَبَ أنَّ الرَّسول بولُس قال ''إِذًا المَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا، وَلكِنِ الحَيَاةُ فِيكُمْ''. فالحياة التي يُعطيها المسيح لا يمكن أن تَنتقل إلى العالم إلَّا مِن خلال حَيَوات أولاده الذين دُعوا إلى تَتميم مقاصده بأن يكونوا مثله.

فالطريقة الوحيدة التي يمكن مِن خلالها للعالم الأصَمّ والأعمى أنْ يَسمع رسالة الإنجيل وأنْ يراها هي بأن يراها مِن خلال حياتنا. والطريقة الوحيدة التي يمكن مِن خلالها لحياة المسيح أن تَصِل إلى الأُمم هي بأن نَحذو حذوه في تجسُّده مِن خلال خضوعنا لمشيئة الله وتقديم ذواتنا بالرَّغم مِن كل ضعفنا. وحيث إنَّ العالم رَفَض الإله الذي نؤمن به والذي دعانا إلى التشبُّه به، فمِنَ المؤكَّد أنَّ هذا العالم سيرفضنا نحن أيضًا. ورائحة المسيح المُتجسِّدة في حياتنا تعني الحياة والدينونة للعالم في آنٍ واحد. وسوف يستمر المسيح في إضرام نار المحبَّة في قلوب الناس بالإضافة إلى الكراهية لأنَّ الحَقَّ الذي يُقدِّمه لنا يُناقض ''الأنا'' الذي يُوَجِّه حياتنا. وسوف يبقى المسيحيِّون على الدَّوام الأشخاص الذين يَحتملون هذا التحوُّل في رَدِّ الفعل هذا.

ونحن لا نَحتمل هذه المعاناة بامتعاض، بل نقبلها بسبب دعوة الكنيسة وجوهر الروحانيَّة المسيحيَّة القائمة على جَلْبِ الحياة إلى العالم وتمجيد الله. فمِن خلال تواجدنا في البيئة المُضْطَهَدة، يُمكن للناس الذين يحتاجون إلى الحياة أن يَحصلوا على الحياة التي قَدَّمَها المسيح. فَمِن خلال تَعَهُّدنا وإصرارنا على مَحَبَّة أولئك الذين يضطهدوننا وعلى العيش بين أُناسٍ يُعَذِّبوننا، فإنَّ الكلمات التي نستخدمها لنقل رسالة الإنجيل تكتسب تأثيرًا قويًّا. لهذا فإنَّ أنبياء الكتاب المقدس عاشوا حَيَواتٍ رمزيَّةٍ وقاموا بأفعالٍ رمزيَّةٍ كالجلوس في وسط التراب والرَّماد. فقد كانت حَيَوات الأنبياء هي صوت الله الذي يَتحدَّث إلى شعبه. كذلك، فقد كانت حياة بولُس وتضحياته هي القنوات التي استخدمها الله للتحدُّث إلى الأُمم.

ثَمَن أن نَكون صوت الله

في أوروبا، هناك حِكمة تقول: ''غالبًا ما يكون الظَّلام حالكًا عند قاعدة المنارة''. وقد تُساعدنا صورة المنارة على تكوين فكرة عن مُفارقة ''الموت الذي يُفضي إلى الحياة'' في كتابات بولُس وحياته. فعندما يقوم المرء بدور الفم النَّاطق بِلِسان الله لإعلان كلمته، فغالبًا ما يكون هناك صَمْتٌ في الحياة التي تَصير صوت الله. لقد صرخ المسيح بصوتٍ عالٍ مِن شِدَّة الألم وهو مُعلَّقٌ على الصَّليب عندما أشاح الله بوجهه عن ألمه ودموعه. ولكنَّ صمت الله يختلف عن غياب الله. ففي لحظة الصَّمت تلك، فإنه يكون حاضرًا في وسط ألَمِنا، ومُعاناتنا، وعُزلتنا. وهو يتألَّم معنا عندما نتألَّم كما تألَّم ابنه؛ مُتَمِّمين بذلك عمله في أجسادنا. وفي لحظة صمت الله مِن نحونا، فإنَّه يتكلَّم بصوتٍ عالٍ للعالم المُحيط بنا مِن خلال هشاشَتِنا. لذلك، لا عَجَب في أنَّ الشخصيَّة الرئيسيَّة لرواية ''الصَّمت'' للكاتب الياباني ''إندو'' تَختم الرِّواية بالقول: ''إنَّ رَبَّنا لم يَكُن صامتًا. وحتى لو كان صامتًا، فإنَّ حياتي حتَّى هذا اليوم تَشْهَدُ عنه'' (إندو، 1988: 298).

وفي الحقيقة أنَّنا لا نُمَجِّد الله مِن خلال تجاربنا التَّنَسُّكيَّة في فترات العبادة والتَّرنيم، بل مِن خلال توصيلنا صوت الله. فالله يُسَرُّ جدًّا عندما يَخضع أولاده لمشيئته ويُقدِّمون ذواتهم كسفراء عنه بالرَّغم من كل ضعفاتهم. فأعظم مَجْدٍ جَلَبه يسوع للهِ الآبِ هو ليس عندما مشى على الماء، ولا عندما صَلَّى لساعاتٍ طويلة، بل عندما صَرَخ بألمٍ في بُستان جثسيماني، وعندما استمرَّ في اتِّباع مشيئة الآب بالرَّغم مِن أنَّها كانت تعني العُزلة، والظُّلمة، وصمت الله. لذلك، فإننا نَعلم أنه عندما يَنهار كل شيءٍ مِن حولنا، وعندما نشعر بأننا قد تحطَّمنا وأصبحنا متروكين، فإنَّ دموعنا ودماءنا وجُثَثَنا الهامِدَةَ هي أعظم ترانيم تَعَبُّديَّة نَتَرَنَّم بها طَوال حياتنا.

أسئلة للنِّقاش

أ) صِفْ الدَّور الذي تقوم به كنيستك المحليَّة في مُواجهة الاضطهاد. انتقِد طريقتها وكُن مُحَدَّدًا. هل تعتقد أنَّها تُجَسِّد المسيح؟ بأيَّة طريقة؟
يقول الكاتب إنَّ ''صَمْت الله يَختلف عن غِياب الله''. ما رأيك في هذا القول؟ وهل اختبرتَ يومًا هذا الإله الذي يَعمل حتَّى في صمته؟ اشرح ذلك.

ب) ما الشيء الذي تُعَبِّر عنه المعموديَّة؟ وما معنى ذلك بالنِّسبة إليك اليوم كشخصٍ تعيش في ما يُدعى بالرَّبيع العربيِّ؟ هل يجب على الكنيسة أن تُشارك في ما يجري؟

ثالثًا: الرَّجاء في الربِّ يسوع المُقام مِن الأموات

بِقَدْر ما نَشترك في آلام المسيح، فإنَّنا نَشترك أيضًا في قيامة ابن الله، ومجده، وكرامته.

مع ذلك، فإنَّ الجسد الميِّت هو ليس نهاية المَطاف. فذاك الذي بَذَل حياته هو أيضًا الذي تَمَجَّد: ''عَالِمِينَ أَنَّ الَّذِي أَقَامَ الرَّبَّ يَسُوعَ سَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ، وَيُحْضِرُنَا مَعَكُمْ'' (2كورنثوس 4: 14). لذلك، ليس مِن باب الصُّدفة أنْ يُشير بولُس أولاً إلى يسوع ''المُقام'' كرَبٍّ، ومِن ثَمَّ يُسْقِط كلمة ''الرب'' ويُشير إلى الاسم ''البشريّ'' ليسوع، ابن يوسف، الذي كان يُشيرُ ضمنيًّا إلى موته وآلامه.

وعندما نَتَّحِد مع يسوع في اتِّضاعه، وآلامه، وموته، فإنَّنا نَنال أيضًا امتياز الاتِّحاد مع الربِّ يسوع المسيح في قيامته، ومجده، ومُلكه. ''لِذلِكَ لاَ نَفْشَلُ'' بالرَّغم مِن أنَّنا نَضعف بسبب آلامنا (2كورنثوس 4: 16). فالوعد بمشاركته في قيامته ومجده يُعطينا رجاءًا راسخًا بأنَّ تضحياتنا لن تضيع هباءً ولن يتم تجاهُلها حَتَّى لو لم يَعلم أيُّ شخص أو كنيسة بمُعاناتنا، وحتى لو لم يُبالوا بذلك، وحتى لو لم نَجِد سَبَبًا منطقيًّا لآلامنا الحاليَّة.

وهذا يعني أنَّ دعوتنا لجَلْب الحياة إلى العالم وتمجيد الله لها ثَمَر آخر غير الفرح الذي نتمتَّع به الآن: فرح جَلْب الرَّجاء والنُّور لهذا العالم المُؤلِم مِن خلال إصرارنا على التواجد في وسط الظُّلمة، وفرح إرضاء الله الذي نُحبُّه مِن خلال خضوعنا الطوعيِّ لمشيئته. وأنا أتحدَّث هنا عن فرحٍ عظيمٍ ينتظرنا؛ وهو فرح استقبالنا، ورَدِّنا، وتمجيدنا مِن قِبَل الله الآب – تمامًا كما استقبل ابنه المُقام، ورَدَّه، ومَجَّده.

الوعد بالقَبول، والردّ، والتَّمجيد

وكم بالحريِّ سيَفرح الآب عندما يرى أنَّ أولاده قد عادوا – بعد انفصالٍ طويلٍ عنه – لتتميم المُهمَّة التي أوكلها إليهم، بدلاً مِن أن يعودوا مِن رحلةٍ انطلقوا فيها بأنفسهم لأهدافهم الشخصيَّة فكانت النتيجة هي أنهم دَمَّروا أنفسهم بأيديهم. فالمحبَّة والرَّحمة هما اللَّذان رَحَّبا بالابن الضَّال. وفيما يختصُّ بالأشخاص الذين يرجعون لا كأولادٍ فحسب، بل وأيضًا كمبعوثين يُحبهم الآب، ويشتاق إليهم، ويفتقدهم، فسيجدون في انتظارهم كل فَخْرٍ، واستحسانٍ، وفَرَح. فهو استحسان السيِّد الذي يَمتدح خُدَّامه قائلاً: ''نِعِمَّا أيُّها العَبْدُ الصَّالِحُ والأمين!'' وهو فَرَح العريس الذي يرى عروسه ويُعانقها بشَغَف. فهي عروسه التي انتظرته بصبرٍ وعِفَّة، وحفظت نفسها لحبيبها طَوال فترة الخطبة الطويلة. وهو فَخْر الآب الذي يَرى تكريس أولاده ونجاحهم، ويَفرح برؤيتهم عائدين إلى منزله ثانيةً.

ولا بُدَّ للرِّحلة أن تترك بصمتها على الجسد والرُّوح! ولكنَّ حَفاوة الاستقبال هي التي تَرُدُّ نفوسنا. فالنَّفس المُتعبة، والقلب المُرهَق، والجسد النَّازف سيَبلغون المكان الوحيد الذي يَخلو مِن الدموع والألم. وهو المكان الذي سيَتغيَّرون فيه ليصيروا في أبهى صورة. فعندما يلتقى حبيبان بعد انفصالٍ طويل، فإنَّ الألم الذي اختبراه يتلاشى فجأةً ويذوب في جمال وروعة الحُب الذي تبدو معه كل تضحيةٍ وكأنها تافهة ومؤقتة. ففي لحظة تَبادُل تلك القُبلة النَّابعة مِن أعماق القلب، فإنَّ الكل يتلاشى أمام هذا الحُبِّ الذي لا يمكن لأيِّ شيءٍ أن يفصلنا عنه!

كذلك، فإنَّ الشخص الذي قُوبِلَ بالتَّرحيب والردِّ يُمَجَّد أيضًا. فالكرامة التي حُرِم منها ستُرَدُّ له أضعافًا مُضاعفة. وكل شيءٍ ضئيلٍ ضَحَّينا به سيُعوَّض عنه بالعَظَمة التي ستُعطى لنا ونُكافأ بها: ''لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا'' (2كورنثوس 4: 17). وعندما يتحدَّث بولُس عن الأجساد المُقامة، فإنَّه يُباين بين أجسادنا الحاليَّة وأجسادنا آنذاك: ''يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. يُزْرَعُ جِسْمًا حَيَوَانِيًّا وَيُقَامُ جِسْمًا رُوحَانِيًّا'' (1كورنثوس 15: 42ب-44أ). ولكننا لا نُمَجَّد فقط مِن خلال أجسادنا المُقامة التي ستكون كاملة، بل أيضًا مِن خلال إكرام الله لنا.

وحيث إنَّنا نَتَّكل بالفعل على النِّعمة التي تجعل خلاصنا مُمكنًا، وإننا جميعًا قد أخطأنا وأعوزَنا مجد الله، فإننا نميل إلى إهمال فكرة أنَّ الله هو الذي يُكرمنا ويُكافئنا. ومع ذلك، فإنَّ النِّعمة التي تُخَلِّص هي أيضًا النِّعمة التي تُلاحِظ وتُقدِّر المحاولة التي يُبديها الخاطئ لتمجيد الله الذي أسْبَغ النِّعمة. فالمحبَّة لا تستطيع إلَّا أن تَمتدح المحبوب. وعندما نُسَبِّح ذاك الذي يُحِبُّنا، فإنَّه يَفرح هو الآخر و ''يُثْني على'' مُحِبِّيه.

فإنْ كان الأبُ قد وَضع عباءةً فاخرةً على كَتِفَي الابن الضَّال، وخاتمًا في إصبعه، وطَلَبَ مِن الحاضرين أن يفرحوا معه مِن أجل عودة ابنه، فكم بالحريِّ سيفعل الآبُ السَّماويُّ لإكرام أولاده والافتخار بهم.

رَدُّ كَرامتنا

عندما نَنظُر إلى المؤمنين المسيحيِّين الشَّرق أوسطيِّين الذين يعيشون في مجتمعاتٍ قائمةٍ على الكرامة والعار، والذين يُعَيَّرون دائمًا بسبب إيمانهم بالمسيح، سنَجِد أنَّ هناك بُعْدًا آخر للتَّمجيد غالبًا ما يتم التغاضي عنه أو أنه لا يُشَكِّل أيَّة أهميَّة لدى اللاهوتيِّين والمسيحيِّين الغربيِّين. وهذا البُعْد المُهْمَل هو الوعد بإعطائنا ''اسمًا جديدًا'' (رؤيا 2: 17). ففي ثقافاتنا، هناك أهميَّة للأسماء تفوق معانيها السطحيَّة. فأسماؤنا تُستخدَم إمَّا لإكرامنا أو لإهانتنا في مجتمعاتنا. وحيث إنَّنا – في المجتمعات غير الغربيَّة – نستمدُّ هُويَّتنا مِن كِياننا المرتبط بمجتمعاتنا، وليس مِن استقلالنا الذاتيِّ أو مِن تحقيقنا لذواتنا، فإنَّ الأسماء ودلالاتها تَلعب دورًا مهمًا في مكانتنا في مجتمعاتنا ونظرتنا إلى نفوسنا.

لذلك فإنَّ الشَّخص الذي يَدين بديانةٍ مُعَيَّنةٍ ثُمَّ يَعتنق الإيمان المسيحيَّ يتأذَّى كثيرًا عندما تتجنَّب عائلته ذِكْر اسمه، أو عندما يَهزأون به ويعاملونه بازدراء. وبهذا فإنَّ أسماءنا تُصبح شوكةً في الجسد لأنَّها تُذكِّرنا دائمًا بصليبنا. ولكنَّ وَعْد الله لنا بأنه سيُعطينا اسمًا جديدًا يُشير إلى رَدِّ كرامتنا؛ وهو شيء أكثر أهميَّةً جِدًّا مِن فقدان أسمائنا التي أَطْلَقَتْها علينا مجتمعاتنا. فالله سيُعطينا اسمًا جديدًا. وحينئذٍ، لن يُعَيِّرُنا أحدٌ بأسمائنا القديمة، بل إننا سنمشي مرفوعي الهاماتِ، وستُذْكَر أسماؤنا بعِزَّةٍ وكرامة.

وفي ضَوْء هذا الوعد بالقيامة مع الرب يسوع، يُمكن للحياة في ظِلِّ الاضطهاد أن تُصبح مُحتملة. فالوعود القائمة على طبيعة الله الثَّابتة وغير المُتغيِّرة تُقدِّم لنا أساسًا راسخًا للتمسُّك به وللاستمرار في اتِّباع دعوته. وفي بعض الأحيان، عندما يشتدُّ الظلام كثيرًا، يُمكننا أن نَرى بَصيص نور. فالله يَنطق بمحبَّته أو يُظهرها بطريقةٍ أو بأخرى. ومع أنَّ الظُّلمة تبقى ظُلمة، فإنَّ أصغر إعلانٍ عن محبته وحضوره يكفي لتجديد قوَّتنا. وفي أغلب الأحيان، عندما يتلاشى كل شيءٍ آخر تمسَّكنا به أو تطلَّعنا إليه، فإنَّ أصغر إشارةٍ مِن الله هي أعظم مِن أيِّ شيءٍ عرفناه أو سمعناه.

وفي أحيان أخرى فإنَّ مشاعرنا تَتَبَلَّد ولا تعود تَصْلُح إلاَّ لتذكيرنا بألمنا. وفي تلك اللحظة، يجب علينا أن نصمد، وأن نؤمن بدعوتنا لجلب الحياة للعالم وتمجيد الله، وأن نؤمن بأنَّنا سنَتَّحِدُ ذات يومٍ بذاك الذي دعانا. فالإيمان هو أثمن وأهم شيءٍ لدينا. وبدونه، لا يمكننا أن نُرضي الله ولا أن نتبعه. والإيمان لا يكون صحيحًا وسليمًا إلَّا عندما يَجتاز امتحان النَّفَق المُظلم. وهذا يُذَكِّرنا بالشَّيطان المَخَضْرَم "سكروتيب" في رواية "رسائل سكروتيب" للكاتب "سي. أس. لويس" إذْ إنَّهُ يُحَذِّر الشيطان الأصغر "وورموود" الذي أُوْكِلَت إليه مهمة تَضليل أحد الأشخاص، فيقول له:

> لا تَنخدع يا وورموود! فلا يُمكن لقضيَّتنا أن تواجه تهديدًا أكبر مِن أن نُقابل شخصًا لا يكتفي بالرَّغبة في عمل مشيئة خصمنا [الله] فحسب، بل إنَّهُ مُصمِّم على ذلك. فهو ينظر حوله إلى عالمٍ يبدو فيه أنَّ كل أثرٍ لله قد تلاشى، ويسأل عن سببه تركه وحيدًا؛ ومع ذلك فهو ما يزال مُطيعًا [لهذا الإله].

أسئلة للنِّقاش

أ) بالنِّسبة إليك اليوم، ما معنى أن تُقابَل بالتَّرحيب، والرَّدِّ والتَّمجيد في الوقت الذي تُواجِه فيه اضطهادًا؟
ب) تَحَدَّث عن رحلتك الشخصيَّة مع الله (في ضَوْء الدَّرس).
ج) في مَرحلةٍ ما مِن حياتنا، قد نَشعُر أنَّ الله تَخَلَّى عَنَّا. ومع ذلك فإنَّنا نَستمرُّ في طاعته. لماذا؟

رابعًا: الاضطهاد وجسد المسيح

إنَّ يسوع يُواجِه الأشخاص الذين رفضوه، وهو قادر على رَدِّهم إليه بلُطْف.
ومع ذلك، فإنَّ رَدَّ الشَّخص إلى جماعة المؤمنين يكون في أغلب الأحيان أصعب بكثير!

إذًا، نحن نَعرف أين هو الله في وسط الاضطهاد الذي نتعرَّض له. فهو معنا وفينا. وهو حاضرٌ من خلال حياتنا، وكلماتنا، وآلامنا، وموتنا. وهو لم ينسانا ولم يُحَوِّل وجهه عنا. ولكنه يَمتنع عن استخدام قوَّته لكي يُفسح لنا المجال لإكمال عمله كي تكون تضحياتنا مصدر حياةٍ وشفاءٍ للعالم. فالله ليس بعيدًا عن آلامنا. فقد اختبر السِّجن، والعُري، والضرب، والقتل (مَتَّى 25). ونحن نَعلم أنه ليس صامتًا، بل يتحدَّث بقوَّة مِن خلال حياة أولاده، وآلامهم، وموتهم.

عندما صَلَّى المسيح بألمٍ في بستان جثسيماني في تلك الليلة المُظلمة، كان يَعرف أنه ينبغي له أن يُتَمِّم دعوته بالرَّغم مِن عِلْمِهِ بأنَّها ستُكلِّفه حياته. وقد كان يَعرف أيضًا أنها الطريقة الوحيدة لجلب الحياة للعالم. فقد كان يَعلم أنَّ موته بتلك الطريقة الوحشيَّة سيُمَجِّد الله. وقد تَغيَّر تاريخ العالم في تلك الليلة، ليس على الصَّليب؛ بل تغيَّر عندما اختار ابن الله عدم الاستسلام، بل التَّمَسُّك بدعوة الله ووعوده حتى وإن كان ذلك يعني أنْ يَحتمل صَمْت الله.

لكِنْ يَبقى هناك سؤال آخر غير ذاك الذي طَرَحَهُ يسوع على اللهِ الآبِ وَهُوَ مُعَلَّقٌ على الصَّليب: ''إلهي إلهي لِماذا تَرَكْتَني؟'' وهذا السُّؤال هو: ''لماذا أنت نائم؟" (لوقا 22: 46). يقول ''ريناتي ويند'' في كتابٍ له بعنوان ''حياة ديتريك بونهوفر'' إنَّ بونهوفر وَجد بأنَّ هذه الكلمات الواردة في الكتاب المقدَّس هي الأشَدُّ إزعاجًا للمرء. فها هو ابن الله الكامل يَطلب دعم البشر العاديِّين بالرَّغم مِن معرفته بعجزهم عن قَوْل أو فِعل أيِّ شيءٍ للتَّخفيف مِن آلامه. ولكنه أرادهم أن يسهروا معه.

في بُستان جثسيماني، نَرى المسيح يَدعو أتباعه للاشتراك في آلامه، ولأن يكونوا جُزءًا مِن الدَّعوة الصَّعبة التي ينبغي أن يَجتاز فيها لتخليص العالم. ومِن خلال هذه الدَّعوة، سَمَح المسيح لأتباعه بالاشتراك في شركته المُقدَّسة مع الرُّوح القُدُس الذي كان حاضرًا لإمداده بالقوَّة. وعندما طَلَب مِنهم أن يَسهروا معه وأن يُصَلُّوا، كان بذلك يَطلب مِنهم أن يَدعموه في وسط آلامه التي سيُكابدها. وبذلك، فقد قَبِل المسيح دعوته، وهو يَطلب مِنَّا أن نَشترك فيها معه.

وفي مَتَّى 25، يأخُذ المسيح الدَّعوة للاشتراك في آلامه إلى ما هو أبعد مِن الاشتراك في ألمه الشخصيِّ إلى الاشتراك في آلام جميع المُتألِّمين. ففي مَثَل الخِراف والجِداء، لا يَكتفي المسيح بتأكيد وقوفه إلى جانب الأشخاص المُتألِّمين وبالقول إنَّ آلامهم هي آلامه، بل إنَّه يُقَدِّم تَحَدِّيًا مُهِمًّا لشعب الله: إن لم تُبادروا إلى مُساعدة الأشخاص المُتألِّمين، فأنتم تُبرهنون على إخفاقكم في محبَّة قريبكم، وعلى أنَّكُم تتركون المسيح يتألَّم بمفرده.

الاشتراك في آلام الآخرين كالاشتراك في آلام المسيح

مِن هذا المُنطلق، فإنَّ الدَّعوة إلى التشبُّه بالمسيح تَقتضي مِنَّا لا أن نَحمل صليبنا ونُكابد الألم فحسب، بل وأيضًا أن نُعانق آلام المسيح مِن خلال مُعانقة الأشخاص المُتألِّمين. فجسد المسيح مَدعوٌّ إلى السَّهَر مع المسيح مِن خلال السَّهر مع المسجونين، والذين يُكابدون العذاب، والذين يَبكون وَحدهم في غُرَفٍ مُظلمة ومعزولة خوفًا مِمَّا يُخَبِّئُه الغَدُ لهم. وفي مَتَّى 25، يُحَذِّرنا المسيح مِن أنَّنا إن لم نُبادر إلى مساعدة الأشخاص المُتألِّمين، فسوف يَحرمنا مِن امتياز الوجود في عائلته. فلكي نَنتمي إلى عائلة المسيح، يجب علينا ألَّا نَكتفي بالقيام بواجباتنا الدينيَّة، بل أن نُقَدِّم العَزاء والتَّشجيع لهذا العالم.

وهذا يَعني أنَّه في إطار حياتنا الروحيَّة الشخصيَّة، وفي إطار دعوة الكنسية، فإنَّ آلام المسيح وآلام البشر تقوم بدورٍ مركزيٍّ. وهذا هو سبب اشتراكنا في العشاء الربَّانيِّ. فمِن خلال كَسْر الخُبْز وشُرْب الكأس، فإنَّنا نتذكَّر آلامه لأجلنا ونَشترك فيها. ومِن خلال اشتراكنا في آلامه، فإنَّنا نَشترك في الدَّم والمجد، وفي الألم والاسترداد. فنحن لا نَكْسِر الخبز ونشرب الكأس لمُجَرَّد الذِّكرى، بل نَفعل ذلك كجماعةٍ مِن الأشخاص الذين يَنْتَمون إلى المسيح. وبذلك فإنَّنا نَدخل في علاقة مع جميع الذين انضمُّوا إلى هذه الجماعة وسينضمُّون إليها. فمِن خلال أكل جسده وشُرب دمه، فإنَّنا نَحصل لا على شفائه فحسب، بل وأيضًا على التحدِّي الذي يَضَعه أمامنا في أن نكون شِفاءً باسمه لجميع المُتألِّمين.

لذلك، مع أنَّ اختبار الألم مِن أجل المسيح هو أمر لا مَفَرَّ مِنه في حياة المؤمنين الأفراد في أزمنة وأمكنة مُعيَّنة في التَّاريخ، فإنَّه مِن واجب جسد المسيح أن يُساند المُتألِّمين – حتَّى ولو مِن خلال السَّهر معهم.

وفي الحقيقة، عندما نَتحدَّث إلى أفرادٍ مَرُّوا في أنفاقٍ مُظلمةٍ وتألَّموا كثيرًا، فإنَّهم يَشهدون في أوقاتٍ كثيرة بأنَّ الشَّيء الذي مَكَّنَهُم مِن الصُّمود وساعدهم على التأقلم مع الأوضاع الصَّعبة التي عاشوها هو يَقينهم بأنَّ رفاقهم المؤمنين يُساندونهم، وأنَّهم يُصَلُّون لأجلهم. فبدون جسد المسيح، غالبًا ما يكون اتِّباع المسيح مُستحيلًا.

المحبَّة، والرَّحمة، والاتِّكال على الربِّ

يجب علينا أن نَعلم أنَّ أوقات الشكِّ لا بُدَّ منها إذ إنَّ المسيح نفسه شَكَّ في ما طَلَبَهُ اللهُ الآبُ مِنهُ، وصَرَخَ بألمٍ، وطَلَب مِن بَشَرٍ أن يُشاركوه ألمه. فحين نُدرك ذلك، فإنَّنا نُدرك هَشاشتنا كبشر، وحاجتنا إلى المؤازرة والمحبَّة والغُفران.

لذلك، فإنَّ وجود فكرٍ لاهوتيٍّ عن الاضطهاد يُفضي -تلقائيًّا- إلى تذكيرنا بأهميَّة الاتِّكال على محبَّة الله وعنايته. وهذا يُفْضي –بدورِهِ- إلى إظهار محبَّة الربِّ للأشخاص المُتألِّمين.

فعندما يَتعرَّض المؤمنون للاضطهاد، فإنَّ كثيرين منهم يَستسلمون بالرَّغم مِن صِدْق إيمانهم. ففي بعض الأحيان، يكون الألم شديدًا وأصعب مِن أن يُطاق. وفي أحيان أخرى، يَفقد العقل قدرته على إدراك ما يَجري والإحساس بحضور الله. وفي بعض الأوقات، قد نَجِد أنَّ الخوف يَغمرنا وأنَّنا لم نَعُد نَرى أنفسنا أبطالًا.

وفي نهاية المطاف، فإنَّنا نَعلم أنَّه بِغَضِّ النَّظر عن مستوى نُضْجِنا في المسيح والمُدَّة التي قضيناها معه في هذه الرِّحلة، فإنَّنا قد خلصنا بالنِّعمة ونَحتاج إلى دَوام بقاء هذه النِّعمة في حياتنا إلى نِهاية السِّباق. ونحن نَعلم أيضًا –كما كان المسيح يَعلم- أنَّنا بحاجةٍ إلى إخوةٍ وأخواتٍ يُمسكون بأيدينا، ويؤازرونَنا، ويُبدون لُطفًا مِن نحوِنا، ويُذَكِّرونَنا –عند الضَّرورة- بمحبَّة الله، ويَحتضنوننا، ويَبكون معنا.

في ضَوْء ذلك، كما أنَّ المسيح تَراءَفَ على أتباعه الذين تركوه في وقت الشِّدَّة، يجب علينا –نحن أيضًا- أن نَتعلَّم مِن أخطائنا وأن نَقبل النِّعمة – لا التي نحن بحاجة إليها فحسب، بل وأيضًا التي يَحتاج إليها أولئك الذين تَخَلُّوا عن إيمانهم. ففي قِصَّة الرَّسول بُطْرُس، نَرى هذا التَّابع الجريء للمسيح يُنكر سَيِّده تحت الضَّغط. لكنَّ محبَّة المسيح وغُفرانه نَجَحا في رَدِّه وفي جَعله عمودًا حيًّا في كنيسته.

والكنيسة في وقتنا الحاضر مُمتلئة بأشخاصٍ كبُطرس. لكنَّ الله الذي دَعاهم هو الوحيد الذي يَعلم كل شيءٍ عن رحلتهم وإيمانهم. أمَّا دورُنا نحن فيتركَّز على التَّرحيب بكل شخصٍ في حياتنا الشخصيَّة وكنائسنا، والاهتمام به، وتقديم محبَّتنا وغُفراننا لجميع المُتألِّمين ومَن يَقترفون الأخطاء.

أسئلة للنِّقاش

أ) يقول الكاتب إنَّ ''الكنيسة في وقتنا الحاضر مُمتلئة بأشخاصٍ كبُطرس''. ما الذي يَعنيه بذلك في رأيك؟ فَكِّر في هذا السُّؤال في ضَوْء الدَّرس.

ب) ما الشَّيء الذي يُمَثِّلُهُ عشاء الربِّ؟ استمع إلى آراء الآخرين وناقشوا معًا جميع الآراء.

الخُلاصة

لقد حاولنا في هذا الدَّرس أن نَتصدَّى لسؤالٍ مِن أصعب الأسئلة التي يَطرحها المؤمن، وهو: ''أين هو الله في الوقت الذي يتألَّم فيه ملايين المؤمنين المسيحيِّين؟''

وقد رأينا أنَّنا نَعلم أين الله. فهو موجود وحاضر في وسط آلام هؤلاء. فآلامهم هي آلامه. وطَوال رحلة الألم هذه، فإنَّ المسيح مُستمرٌّ في جَلْب الحَقِّ والشِّفاء إلى هذا العالم. وقد رأينا أيضًا أنَّ التشبُّه بالمسيح واتِّباع الطَّريق الذي عَيَّنه الله لنا هو شيءٌ أساسيٌّ في دعوتنا كمؤمنين مسيحيِّين.

لكنَّنا رأينا أيضًا أنَّنا لا نستطيع القيام بذلك بمفردنا. فنحن بحاجةٍ إلى وجود المسيح وجسده معنا. وقد رأينا أنَّ الاشتراك في آلام الآخرين هو اشتراك في آلام المسيح. وفي كُلِّ مَرَّة نتناول فيها العشاء الربَّانيَّ، فإنَّ الربَّ يُذَكِّرُنا بهذه الآلام ويدعونا إلى الاشتراك فيها.

ومع أنَّ هذا كُلَّه قد لا يُسْهِم في التَّخفيف مِن آلام المؤمنين، فإنَّه يُذَكِّرُنا بأنَّه ما مِن شيءٍ يضيع هَباءً، وبأنَّه عند مجيء الربِّ ثانيةً، فإنَّنا سنتحرَّر مِن جميع متاعبنا لأنَّنا سنَشترك في مجده.

إنَّ المسيح حقيقيٌّ. وكذلك الحال أيضًا بالنِّسبة إلى وعوده التي قَطَعَها لنا وللعالم. فهو سيأتي ثانيةً! لذلك، مع أنَّنا قد لا نَفهم أحيانًا سبب وقوع بعض الأحداث، فإنَّنا مَدعوُّون إلى تَثبيت أعيُننا عليه ووضع رجائنا فيه. فهو رئيس إيماننا ومُكَمِّله. وهو رجاؤنا الحقيقيُّ الوحيد في كل زمانٍ ومكان إلى أبد الآبدين.

نشاط تعليميّ/ حالة دراسيَّة

اكتب تأمُّلًا موجزًا (لا يزيد عن صفحة واحدة) عن عشاء الربِّ وأهميَّته للكنيسة في وقتنا الحاضر في ضَوْء لاهوت الاضطهاد.

أو

دراسة حالة: سامية، نموذج مِن الجزائر.

كانت ''سامية'' قد سَلَّمت حياتها للسيِّد المسيح في وقتٍ مِن الأوقات. وهي تريد إطلاع العالم على قِصَّة مِن قصص اضطهاد المؤمنين المسيحيِّين التي حَدَثَت في قلب الجزائر.

تقول ''سامية'' (التي جرى تغيير اسمها لحمايتها): ''لقد كنتُ مُسلمة بحُكْم ولادتي في عائلة مُسلمة ووجودي في ثقافة إسلاميَّة مفروضة عليَّ. لكنِّي أعترف الآن بأنِّي كنتُ مُنافقة في اتِّباعي للإسلام لأنَّ الإسلام لم يَكُنْ يُشَكِّل جُزءًا مِن حياتي. وقد كان تَعَرُّفي إلى الربِّ يسوع المسيح والإنجيل سببًا في تغيير حياتي إلى الأبد وجعلها ذات معنى. فقد وَجدتُ أخيرًا الإله الذي يمكنني أن أُحبَّه، وأن أعبده، وأن أخدمه بحُريَّة لأنَّ الإسلام ليس إلَّا شكلًا مِن أشكال العبوديَّة''.

''لقد اعتنقتُ المسيحيَّة في سنة 2007. فبعد أن شاهدتُ فيلم "آلام المسيح"''، صَلَّيتُ وقلتُ: "يا رَب يسوع، إذا كنتَ تَغفر الخطايا حقًّا، أرِني ذلك واغفر خطاياي". وفي تلك اللَّيلة، حلمتُ حُلمًا. ففي الحُلم، جاء

رَجُلان لرؤيتي، الأوَّل يرتدي ملابس بيضاء، والثَّاني يرتدي ملابس سوداء. قال لي الرَّجُل الذي يرتدي ملابس بيضاء: "قَدِّمي نفسك ذبيحة وأنا سأقيمك مِن الموت وأعطيك حياةً جديدة". أمَّا الرَّجُل الذي يَرتدي ملابس سوداء فكان يقف فوق جُثَّة، وقال لي: "انظري إلى هذا الرَّجُل الميِّت. لقد قَدَّم نفسه ذبيحةً ولم يَقُم". لكنَّ الرَّجُل الذي يرتدي ملابس بيضاء أراني حَمَلًا وقال لي: "انظري! لقد ذُبِحَ الحَمَل مِن أجل خطاياكِ. قَدِّمي نفسكِ ذبيحةً وسوف تقومين ثانيةً". في تلك اللَّحظة، سَلَّمتُ حياتي ليسوعَ ورأيتُ حياتي ذبيحة. بعد ذلك مُباشرةً، فَتحتُ عينيَّ فأدركتُ أنِّي قُمْتُ مِن الموت دون أن أعرف كيف!''

''بدأتِ المتاعب والاضطهاد عندما اقترب موعد زواجي مِن شَابٍّ أحببته. فعندما اكتشفت عائلته أنِّي قد آمنت بيسوع المسيح، فعلوا كل ما في وُسعهم لإلغاء الزَّواج. ففي بادئ الأمر، طلبوا مِن ابنهم أن يَتزوَّج مِن امرأة مُسلمة. وعندما رَفَض، أخبروه أنَّهم لن يحضروا حفل زفافنا. ومع ذلك، فقد تزوَّجنا وعشنا معًا بهدوء مُدَّة خمسة أشهر دون أيَّة مشكلة. لكنَّ هذا الهُدوء كان يُخفي وراءه عاصفة قويَّة. فقد كان أخو زوجي مؤمنًا بالمسيح أيضًا. وعندما تَزَوَّج مِن فتاةٍ مسيحيَّة، شَعَرَ أهله أنَّ المسيحيَّة غَزَتْ بيتهم! وقد كُنَّا نُدرك تَخَوُّفَهُم مِن أن يَرَوا جميع العائلة تَعتنق المسيحيَّة. لذلك، فقد احتملنا رفض العائلة لنا مُدَّة شهر''.

''بعد ذلك، تَمَّ طَرْدُنا مِن البيت. وكان الوضع لا يُطاق لأنَّه لم يكن لدينا مكان آخر نذهب إليه. لكنَّنا وجدنا صديقًا سَمَح لنا بالبقاء في غُرفة صغيرة كان قَد بَناها في قرية أخرى بقصد تربية الدَّجاج فيها. وقد عشنا في ذلك المكان سبعة أشهر. لكنَّ ابن أُخته وأهل القرية عَلِموا بأنَّنا نَعتنق المسيحيَّة فقالوا له: "كيف تَجرؤ على السَّماح لمسيحيِّين بدخول قريتنا؟" ويجب أن تَعلموا أنَّ كل شخصٍ يترك الإسلام هو مُرْتَدٌّ. والارتداد جريمة خطيرة في نظر المُسلمين''.

''عشنا بهدوء في قُنِّ الدَّجاج مُدَّة شهرين آخرين لأنَّه لم يَكُن لدينا مال ولأنَّنا كُنَّا نعيش أزمة مُريعة. وقد حاول صديقنا المُخلص أن يساعدنا، لكنَّه كان يَرزح تحت ضغط شديد. وفي نهاية المطاف، ذهبنا إلى البيت لنرى إن كانت العائلة ستستقبلنا. لكنَّهم أهانونا، وأذَلُّونا، وشَتَموا اسم المسيح. فقد كانت أفواههم كالبراكين إذ كانوا يُوَجِّهون إلينا الكلمات المُهينة والقاسية باستمرار. وقد صار الاضطهاد أشَدُّ وأعنف عندما ابتدأوا يضربوننا. والأسوأ مِن ذلك هو أنَّ الأب رفع دعوى علينا في مَخفر الشُّرطة. وقد أمَرَنا رئيس الشُّرطة بمغادرة المنزل في غضون 15 يومًا، وَإلَّا فسوف يقبضون علينا''.

ومع ذلك، فقد بارَكَنا الربُّ إذ إنَّنا التقينا بزوجين مسيحيِّين سَمَحا لنا بالبقاء في منزلهما لأنَّهما كانا على وشك السَّفر خارج البلد لحضور دورة تدريبيَّة. وقد كان ذلك لُطفًا مِن الربِّ وراحةً كبيرة. ففي نهاية المطاف، صار بإمكاننا أن ننام في اللَّيل دون خوف. لكنَّ ذلك لم يَدُم طويلًا. وفي غُضون تلك الأشهر الثَّلاثة، طلبنا وَجْه الله وتجاوبنا مع نِعمته''.[1]

أ) ما الذي يمكنك قوله عن سامية ووضعها؟ هل يبدو لك أنَّ الله قد تركها؟
ب) لو كنتَ مكان سامية، كيف كنتَ ستتجاوب مع هذا الاضطهاد؟ كن مُنفتحًا وصادقًا.
ج) لقد واجَهَتْ سامية ضغطًا هائلًا مِن عائلتها وجيرانها كي تُنكر إيمانها وتعود للإسلام. وكما ترى، فإنَّ رفضها أدَّى إلى تَخَلِّي المجتمع عنها. كيف يمكنك أن تُشَجِّع سامية وأن تُعَزِّي قلبها؟

[1] تَمَّ اقتباس هذه القصَّة عن الموقع التَّالي على شبكة الإنترنت: http://www.persecution.org/crossingthebridge/

امتحان قصير
(الدَّرس الثَّاني)

اخْتَر الإجابة الأكثر دِقَّةً وصِحَّةً:

1- خيْرُنا الأسْمَى:
أ) يَخلو مِن المشكلات.
ب) لا يَخلو مِن المشكلات.
ج) حياة مُمتعة مُفعمة بالمُتَع والملذَّات.

2- الكلمة اليونانيَّة "Thanatos" (ومَعناها: ''مَوْت'') تُشير في المسيحيَّة إلى:
أ) الموت مَرَّة واحدة.
ب) الاشتراك المستمرّ في الآلام.
ج) تَشخيص الموت (شكل مِن أشكال التجسُّد).

3- لكي يَفهم المرء معنى الإيمان بالله والسُّلوك بقوَّة الرُّوح القُدُس، يجب عليه أن يَنظر إلى:
أ) روحانيَّة الكنيسة.
ب) روحانيَّة يسوع.
ج) روحانيَّة المؤمنين.
د) روحانيَّة يسوع، والكنيسة، والمؤمنين.

4- صَمْت الله يَعني:
أ) أنَّه غائب.
ب) أنَّه قد تَخَلَّى عَنَّا.
ج) أنَّه يَتحدَّث إلينا (وليس غائبًا).

5- مِن خلال العشاء الربَّانيِّ، فإنَّ المؤمن:
أ) يَتذكَّر آلام المسيح.
ب) يَشترك في آلام المسيح.
ج) يَنال شِفاء المسيح.

ضع الحرف ''ص'' (= صواب) أو الحرف ''خ'' (= خطأ) بعد كل جُملة:

6- بدون جسد المسيح، غالبًا ما يكون اتِّباع المسيح مُستحيلًا. ( )

7- الحياة السَّعيدة تخلو مِن الألم، والتَّضحية، والانضباط الذَّاتيِّ. ( )

8- المُعاناة والألم ليسا مِن الله. لذلك، يجب على المؤمن أن يَحيا حياةً سعيدة؛ وإلَّا فإنَّ حياته الروحيَّة ستكون موضع تساؤل وشك. ( )

أسئلة إنشائيَّة:

9- التَّغيُّرات في الشَّرق الأوسط وشمال إفريقيا وضَعَت تحدِّيات خطيرة أمام الكنائس. صِف الوضع في بلدك، وتحدَّث عن دور كنيستك المحليَّة في هَذا المُجتمع تحديدًا.

10- هل الاضطهاد شيء لا مَفَرَّ منه لِجَلْبِ الحياة إلى النَّاس والمجد لله؟ ناقش.

11- لقد طَرَح الكاتب السُّؤال التَّالي: ''ما الذي يَدعو الإنسان إلى الاتِّكال على إلهٍ ظالمٍ ولا يُمكن الوثوق به – لا سِيَّما وأنَّهُ يَسمح لِمَن يؤمنون به بمواجهة الاضطهاد تلو الاضطهاد؟'' أجِب عن هذا السُّؤال في ضَوْء هذا الدَّرس وفي ضَوْء خبرتك الشخصيَّة.

12- لقد اختار خالق الكون أن يَنام في العَراء وأن يَسكن في وسط أناسٍ يَضطهدونه. اشرح ذلك.

13- يقول البعض إنَّ الله يَسمح بالاضطهاد في حياتنا لكي يُقَرِّبنا إليه. كيف تَقرأ هذه المقولة؟ اطْرَح وُجهة نظرك الشخصيَّة.

14- كيف يمكن لنظرتك إلى الردِّ المُستقبليِّ للمؤمنين (future restoration) أن تساعدك في احتمال ضيقاتك الحاليَّة؟